من شؤون المسلمين والعالم

مصادر الأخطار

في القرن الإفريقي المسلم

قضية القرن الإفريقي قضية معقّدة متشابكة .. وقضية إسلامية هامّة إلى حدّ كبير .. القوى المؤثّرة فيها متعدّدة ، محلية ودولية ، وأعداء المسلمين فيها كثيرون ، تلتقي مصالحهم وتفترق في مجالات عديدة ، لكنّهم في عدائهم للإسلام في هذه المنطقة بالذات متعاونين بصورة (نموذجية)

وقضية القرن الإفريقي المسلم في حاجة إلى إحيائها إحياءً أكبر في وعي المسلمين ، ممّـــا يتطلّـــب إدراك الأبعـــاد التاريخية للأحداث وللتطوّرات المعاصرة ، من الزوايا العقيدية والسياسية والبشرية ، بهدف استخلاص الحكم الـــسليم على حقيقة ما يجري ، وتحديد الطرق المجدية لخدمة هذه القضية بالمنطلق الإسلاميّ ولتحقيق الأهداف الإســـلاميّة في المستقبل

ولا يفي مقال محدود بهذه المهمّة ، إنّما تستهدف الكلمات التالية إلقاء بعض الضوء وإعطاء بعـــض الإشـــارات بإيجاز كبير

البعد العقيدي التاريخي والمعاصر

القرن الإفريقي يحدّ ذاته ساحة معركة عقيدية تاريخية ومعاصرة ، كما أنّه في نفس الوقـــت (منطلـــق) حمـــلاتٍ عقيدية واسعة النطاق تجاه مجموع المناطق المحيطة به ، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغربا .. وربّما كان للأسباب الجغرافيـــة والبشرية دورها في إعطائه هذه الأهمية العقيدية .. بما يفسّر حقيقة أنّ الحبشة كان على مدى التاريخ معقلاً رئيـــسياً من معاقل النصرانية واليهودية معاً في مواجهة الانتشار السريع للإسلام في الحبشة نفسها وفي مجموع القارة الإفريقيـــة بصورة خاصة .. وأنّ كينيا –مع الحبشة– كانت ولا تزال مركزاً رئيسياً للغاية من مراكز حملات التبشير النصرانية في البلدان الإسلاميّة الإفريقية قبل سواها ..

ومن أراد معرفة ما يعنيه هذا البعد العقيدي التاريخي والمعاصر على صعيد مجرى الأحداث نفسها ، فلينظر نظـــرة الدراسة والتحليل إلى ما جرى ويجري في جنوب السودان وإلى الدور المشترك بين الحبشة القيصرية واليهودية العالميـــة والمحلية تجاه فلسطين وتجاه ارتيريا .. ولينظر أيضاً في (المنجزات) التي تعدّدها المؤلّفات الصادرة عن المصادر التبـــشيرية النصرانية نفسها بشأن دور (نيروبي) في حركة التبشير في القارة الإسلاميّة بغالبية سكانها والمساحة الأعظم من أرضها

وليس هنا المجال الكافي للتفصيل في ذلك كلّه ، فتكفي هذه الإشارة ، ومعها الإشارة إلى انضمام الشيوعية العالمية لهذا الصراع العقيدي ، عبر الصومال ثم عبر عدن والحبشة

و لم تختلف أسلحة الشيوعية إرهاباً وتدميراً عن أسلحة الأطراف السالفة ذكرها

على أنّ أهم ما في هذا البعد العقيدي أنّ المنطقة –في الوقت الحاضر ، وعلى مدى من الـــزمن الماضـــي لـــيس بالقصير– أشبه بمسرح معركة تدور بين جهتين ، تضمّ الجبهة الأولى القوى الصليبية واليهودية والماركسية في صفوف متراصّة أحياناً متتابعة أحياناً أخرى ، تتماثل أسلحتها ، وتتكامل أدوارها ، وتلتقي في هدفها البعيد لقـــاء يتجـــاوز تناقضاتها ومنافساتها الأخرى .. وهو هدف إنهاء وجود الإسلام ، عقيدياً وبشرياً .. وقد غاب سياسياً ، أما الجبهـــة الثانية –وذاك ما يبيّن عمق المأساة في القضية بصورة مذهلة– فالإسلام فيها وحده ، يحميه ربّه .. ولا تكاد توجـــد قوى بشرية (قادرة وراغبة) تدافع عنه

وربّما ردت هذه الصورة غريبة للوهلة الأولى ، وعساها تتضح بعض الوضوح في فقرة لاحقة .. بعد اســـتكمال الحديث عن أبعاد أخرى للقضية

البعد الجغرافي السوقيّ

لا يخفى أنّ للقرن الإفريقي المسلم أهمية جغرافية سوقية (استراتيجية) كبيرة ، تنبع من موقعه :

(١) على مضيق باب المندب
(٢) كجناح لمنطقة الخليج الإسلامي النفطيّة
(٣) في منطقة متوسّطة نسبياً من القارة الإفريقية الغنيّة بثرواتها الطبيعية وطاقاتها البشرية

وقد كان هذا الموقع أحد الأسباب الإضافية لمساعي المعسكرين الكبيرين للسيطرة عليه ، أو تقاســـم النفـــوذ في مجموع المنطقة ، وإثبات وجودهما فيها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، وربط أنظمة حكمها بهما ربطاً وثيقاً محكما

ومن أراد معرفة ما يعنيه هذا البعد الجغرافي السوقيّ ونتائجه على الصعيد التطبيقي ، فلينظـــر معـــدّداً القواعـــد العسكرية الأمريكية والفرنسية والبريطانية والسوفييتية التي توزّعت خلال الفترة الماضية على مجموع المنطقة وما حولها

فغطتها تغطية كاملة ، ولينظر إلى ارتباط كلّ دولة من دول المنطقة بدولةٍ من الدول الغربية والــشرقية الرئيــسية .. سياسياً واقتصادياً ، لا يوازيه في درجة قوته إلاّ درجة الضعف المذهلة لارتباطات تلك الدول سياســياً واقتــصادياً بالدول القائمة في (العالم الإسلامي الكبير) الممتدّ على أوسع مساحةٍ شرقَ منطقة القرن الإفريقي وغربها ..

وجوه متعدّدة لقضية واحدة

تتحدّث معظم أجهزة الإعلام في بلادنا الإسلاميّة عن عدة قضايا في منطقة القرن الإفريقي المسلم .. عن قــضية ارتيريا ، وقضية أوغادين وهرر ، وقضية الصومال (الكيني) ، ثمّ عن عدة مشاكل ، مشكلة ضعف دولــة جيبــوتي واستمرار ارتباطها بفرنسا ، وضعف دولة الصومال وميلانها ميلة واحدة من الشرق إلى الغــرب ، وتثبيــت قــدم الشيوعية في الحبشة الصليبية .. يلي ذلك الحديث عمّا يحيط بالمنطقة ، في السودان وعلاقته بالحبشة ، وفي التعاون بين الحبشة الشرقية الاتجاه وكينيا الغربية الاتجاه ، وعن الأخطار المنطلقة من الساحل الإفريقي الشرقي تحــت الــسيطرة الشيوعية باتجاه شبه الجزيرة العربيّة ، وعن دور الشيوعية في عدن باتجاه اليمن الشمالي وعمان والــسعودية .. كمــا يدور الحديث عن مشكلة اللاجئين بمئات الألوف ، والمجاعة التي تقضي على الألوف ..

وليست قضية القرن الإفريقي المسلم إلاّ قضية واحدة متعدّدة الوجوه ، وليست إلاّ جزءاً مــن مجمــوع قــضية الإسلام في هذا العصر .. قضية وجوده في الساحة عقيدياً وسياسياً وحضارياً ، واستمرار هذا الوجود على أســاس التطلّع إلى المستقبل بمنظار الإسلام ولتحقيق أهداف الإسلام

ولأعداء الإسلام مصالحهم في تجزئة القضية ، بحيث يتفرّغ كلّ منهم لتحقيق أهدافه في جزء منها ، بحسب مدى قوته التي فرضها ، أو بحسب الاتفاق الضمنيّ مع الأطراف الأخرى .. والأهداف متكاملةٌ في النهاية علــى هــدفهم المشترك لاستئصال الإسلام كقوة وحيدة تهدّد الغرب والشرق ، تهدّد الصهيونية والــصليبية والماركــسية في وقــت واحد .. إنّما السؤال : ما مصلحة المسلمين في تجزئة القضية ؟ ..

ومن أراد معرفةً أعمق بهذا الأسلوب المتّبع من جانب أعداء الإسلام في المنطقة ، فليذكر أثناء حرب الصومال مع الحبشة في أوغادين ، وخيبةِ أمل الصومال تجاه الغرب بعد أن تخلّى عنه الشرق : لقد كان موقف الولايات المتحــدة الأمريكية –كما كشفت المصادر الأمريكية مؤخّراً– هو أنّها طلبت من السوفييت ألاّ يتجاوزوا حدود الــصومال .. أمّا أوغادين وهرر فليفعلوا فيهما ما يشاؤون .. وقد فعلوا ما شاؤوا ، بينما حققت أمريكا بالمقابل هدفها في الجــزء الآخر من المنطقة ، على شكل قواعد عسكرية وسيطرة سياسية في الصومال .. (وسواها)

ولو اتسع المجال لأمكن إيراد المزيد من الأمثلة ، إنّما ننتقل إلى آخر صفحة في تطوّرات القضية تطالعنا بها الأخبار يوماً بعد يوم

من أحداث الساعة

خلال العام الميلاديّ الموشك على الانتهاء ، تمّ لأمريكا ما أرادته من تثبيت وجودها في الصومال بالإضـــافة إلى كينيا ، وتابع الاتحاد السوفييتي تثبيت وجوده في الحبشة بالإضافة إلى عدن ، وتابعت فرنسا تعزيز وجودها العسكري المباشر في جيبوتي

وخلال نفس الفترة تمّ الاتفاق بين الحبشة والسودان فتخلّى السودان عن دعم حرب استقلال ارتيريا واعتـــرف بالمواقف السياسية الحبشية بشأن مناطق أوغادين وهرر ، وتمّ الاتفاق بين الحبشة وكينيا ، وأصبح الحديث يدور عن نشوء ما يشبه الجبهة الثلاثية من السودان والحبشة وكينيا ضدّ الصومال(*)

وخلال نفس الفترة أيضاً قامت قوات الحبشة المدعومة من جانب السوفييت والكوبيين بعـــدد مـــن الحمـــلات الهجومية التي شرّدت مئات الألوف من أوغادين وهرر إلى الصومال ، وتابعتهم بالطائرات والـــدبابات إلى داخـــل الأراضي الصومالية .. وبعدد من الحملات الهجومية الشاملة في اريتيريا ، وسيطرت على الجزء الأكـــبر منـــها مـــن جديد ، وتقول بعض الأنباء إنّ حملة جديدة في المنطقتين قائمة الآن على قدم وساق

الإسلام وحده في الجبهة

كانت عيون المسلمين وآذانهم طوال أكثر من ١٥ سنة تتابع ما تنشره أجهزة الإعلام الموجّهة ، عن دعم المسلمين المقاتلين في ارتيريا ، وعن الوقوف موقف الدعم تجاه الصومال وجيبوتي .. وكانت الصور التي تدخلها هذه الأجهزة في نفوس المشاهدين والسامعين والقارئين ، تتراوح بين وصف المقاتلين بالتقدّميين واليساريين والوطنيين ، ووصـــف أرض المعركة بأنّها عربية وإسلامية ، ووصف أعداء المسلمين فيها بالاستعمار والشيوعية والصهيونية .. حسب جهاز الإعلام ومن يقف وراءه

قيل إنّ الحكم في سورية كان يدعم ارتيريا ، وقيل إنّ العراق يدعم ، وإنّ دول الخليج تـــدعم ، وإنّ الـــسودان يدعم .. قيل إنّ هذا الحكم يدعم هذه الجبهة بالذات وذاك يدعم الجبهة الأخرى من جبهات التحرير .. ولو نظرنـــا في معظم أجهزة الإعلام الرسمية هذه الأيام ، لوجدنا الحديث عن مجموع المنطقة وقضاياها قد اختفى أو كاد يختفي ، إلاّ من كلمة عابرة ، أو بيان مشحون بعبارات منمّقة ، إذا كان لها غرض ، فربّما محاولة حفظ بقية ماء الوجوه

إنّ من أبرز ما تثبته تطوّرات هذا العام الميلاديّ أنّ أنظمة الحكم (الداعمة وغير الداعمة) إنّما تنطلـــق في تقـــديم الدعم أو منعه ممّا تراه مصلحة لنفسها .. فهذا النظام يرى في تثبيت قدم الشيوعية تثبيتاً له .. وذاك يرى في القواعـــد العسكرية الغربية حماية له ..

(*) انظر قسم (القرن الإفريقي) من أقوال الصحف والمجلات من هذا العدد

وإنّ من أبرز نتائج هذه المنطلقات أنّ أنظمة الحكم الداعمة وغير الداعمة ، قد دخلت طرفاً في جبهـــة المعركـــة المعاصرة في القرن الإفريقي المسلم .. ولكنّها تقف في هذه الجبهة قدماً بقدم ورأساً برأس ، مع ثالوث العدوّ المشترك في القضية ، يربط مصالحها بمصلحة أحد أطرافه ، ومصيرها بمصير وجوده في المنطقة

ولهذا نجد أنّ نظام الحكم الذي كان يدعم المقاتلين في ارتيريا قد انقلب –تحت عنوان الإسلام نفـــسه أحيانـــاً– فوقف مع الحبشة ، كما فعلت ليبيا من قبل وتفعل السودان حاليا

ولهذا نرى أنّ أنظمة حكم عربية –كسورية والعراق– كانت تقدّم الدعم –حسب أقوال مصادرها– للمقاتلين ، وتوقّف الدعم .. بينما لا يزال احتلال ارتيريا مستمرّا

ولهذا نرى أنّ الصومال مع كلّ ما حدث فيه من انقلاب في وجهة التبعية ، وأنّ جيبوتي مع القول بأنّها استقلّت عن فرنسا .. نرى أنّهما في أمسّ الحاجة للعون ، وفي مقدور الدول الأخرى (الأعضاء معهمـــا في جامعـــة الـــدول العربيّة) أن تقدّم العون .. ولكنّه –إذا قدّم أحياناً– بقي في درجة قاصرة (مدروسة) تُبقي على استمرار حاجة جيبوتي لفرنسا (الغربية) وحاجة الصومال لأمريكا زعيمة الغرب ذات (المصلحة الأمنية) في الخليج والبحر العربيّ

مأساة القضية الحقيقية تكمن في أنّ النظرة إليها من قبل أنظمة الحكم القائمة حولها نظرة مصالح ذاتيـــة مرتبطـــة بالغرب أو الشرق .. لا نظرة مصلحة إسلامية عليا مشتركة في مواجهة الشرق والغرب معا

ومع ذلك ، مع بقاء الإسلام وحده بقوته الذاتية في قلوب أبناء القرن الإفريقي المسلم .. فإن الغـــرب والـــشرق عاجزان عن القضاء عليه عقيدياً وبشريا .. عاجزان لأنّ للإسلام ربّاً يحميه في القلوب والصدور .. كما كان للبيت ربّ يحميه يوم كان ما حول البيت جاهلية سائدة حاكمة ..

وكما حمى الله عزَّ وجلَّ بيته حتى كانت بعثة محمّد ﷺ فطهّر البيت وما حوله من الجاهلية وأصنامها .. فـــإنّ الله عزَّ وجلَّ سيحمي دينه حتى يظهر له من أبنائه المخلصين جيل يطهّر أرضه من جاهلية القرن الميلادي العشرين

وإنهم يتحدّثون عن القرن الهجري الخامس عشر ألوان الحديث .. ويقولون إنّه قرن عودة الإسلام وهم بعيـــدون عن طريق الإسلام ، ولقد صدقوا من حيث لا يشعرون ، فهو قرن عودة الإسلام بعون الله فليستبشروا بما ينتظـــرهم جزاء البعد عن الإسلام ، وخدمة المصالح المادية لمصلحة الإسلام .